خدمة الرؤية الصهيونية
أحد أهداف العدوان على العراق

التلازم بين القضية الفلسطينية والقضية العراقية مسألة بديهية بحكم الكثير من الظواهر السياسية الموضوعية ، ليس من أبرزها السياسة الأمريكية ــ كممارسة ــ تجاه المنطقة العربية منذ نصف قرن ونيف من السنوات فقط ؛ وإنما التدخل المباشر في شمال العراق والقصف الصهيوني للمفاعل العراقي أيضاً، علاوة على تصريحات جورج بوش الأب الذي قطع بأنَّ عدوان 1991 هو في خدمة الكيان الصهيوني ، وكذلك يعفيها من دفع أيَّ ثمن في سبيل تنفيذ تلك المهمة التي تخدم غرضها السياسي ، ناهيك عن العلاقات القانونية التي تربط الأجزاء بالكل : العراق وفلسطين بالأمة العربية ؛ وزيادة في الإيضاح حول النشاط الأمريكي في سبيل خدمة الأهداف الصهيونية ، علينا ذكر ما أورده الملك المغربي السابق المرحوم الحسن الثاني حول ذلك التلازم : ((إنَّ العراقيين طلبوا منه التوسط لدى الولايات المتحدة لرفع الحصار . وردَّ عليه الأمريكيون بالشروط التي يطلبونها لرفع الحصار عن العراق وكانت ثلاثة :

1 ــ أنْ يتعهد العراقيون بعدم اِعتراض مسيرة السلام لا مع الفلسطينيين ولا مع الأردنيين ولا مع السوريين .

2 ـ أنْ يبدأ العراق بإجراء اِتصال مع إسرائيل في السر أو في العلن ــ لا يهم .

3 ـ وأنْ تكون بغداد جاهزة بدورها للسلام مع إسرائيل .

وكان تعليق الملك أمام سامعيه ــ كما ينقل السيد محمد حسنين هيكل كل ذلك ــ : لم يكن في كل هذه الشروط شرط أمريكي واحد ، **وإنما كانت كلها كما ترون شروطاً لإسرائيل**)) . إذن الرؤية الفكرية والسياسية ــ إذا ما أخذنا معنى الحرب بالصورة العلمية التي حدد مفهومها كلاوزفيتز ــ واضحة في توجهها ومضمونها .

ولكن ماذا يستهدف الأمريكيون من جرّاء عملهم السياسي الإستراتيجي في المنطقة العربية ، إذا أخذنا واقع الممارسات الأمريكية منذ قيام كيان الاغتصاب الصهيوني لـلآن ، فضلاً عن التصريحات السياسية التي أدلى بها المسؤولون الأمريكيون ــ التي اِزدادت وتيرة وضوحها بعد عدوان حزيران عام 1967 على مصر جمال عبد الناصر الخالد ــ نستخلص الإستنتاجات التالية : ضمان أمن مصالحها . فرض الخط الإستسلامي على العرب لصالح الكيان . ضمان التفوق الصهيوني المطلق على كلِّ العرب . تفكيك الرابط المشتركة بين أقطار الأمة العربية ، من خلال تعميق التجزئة ، وتجزئة التجزئة ، وتفتيت الوحدات المجتمعية القطرية ، إلى فئات متقاتلة تبحث عن ما يشبع بطنها ومنعها من التفكير في الطموحات السياسية بصدد وطنهم وأمتهم العربية لا حاضراً ولا في المستقبل ، وكذلك تمهيداً لجعل العرب **يدورون بفلك القوة القادرة** : الكيان الصهيوني . القضاء على أية قوة عربية فاعلة لصالح ذاتها القومية ، من خلال تصفية قوتها العلمية البشرية ومنجزها الذي تحقق .

لقد كان خط السياسة الشرق أوسطية هو الخط الدبلوماسي والعسكري الذي إختطته الولايات المتحدة بشكل واضح منذ سقوط غريمها أو منافسها الإتحاد السوفييتي ، وشنَّها الحرب الشاملة على الدولة العراقية في عام 1991 ، ولم يكن شمعون بيريز يهرف بما لا يعرف حول النظام الشرق الأوسطي القادم ، لذلك إنطوى عنوان كتابه على تهديد مبطن موحٍ بما فيه الكفاية لكل المخلصين لأمتهم العربية ، إذ أكد على كونه : نظام لا يطيق المتخلفين عنه ولا يغفر لمن لا يريد طاعته أبداً . ذلك هو المعنى الحقيقي لعنوان كتابه . **كان بيرز يستشف الأهداف السياسية الحقيقية التي رسمها الصهاينة اليهود الحاكمون للبيت الأبيض والمسيطرون على القرار السياسي لأمريكا** ، إذن فرض الشرق الأوسطية هو الذي يستلزم القضاء على طموحات الدولة العراقية : فكرياً وسياسياً ، عبر الحرب التدميرية الشاملة ، بغية تحويل أمثولة الإتفاقات الإسرائيلية ــ مع سلطة السادات وحكومة الملك حسين في كامب ديفيد ووادي عربية والسلطة العرفاتية إلى نوعٍ من ((الظفر السياسي والإزدهار الإقتصادي)) كما يرتئي بيريز وتحوله في المدى البعيد إلى نهج سياسي يؤدي إلى ((إزالة الحواجز وتوسيع الطرق من أجل توفير الحرية لإنتقال البضائع والضيوف في جميع الأماكن المقدسة والأماكن الأخرى)) .

ولكي نخطو خطوة أخرى نحو المستقبل المُتصوَر في الفكر الصهيوني ، مع ما تقدم من إستخلاصات سياسية وإستنتاجات فكرية ، ينبغي لنا قراءة ما كتبه الإستراتيجيون الصهاينة حول الأفق الذي يتطلع إليه سادة الكيان الصهيوني على المستوى الإقتصادي إذ يقول الإقتصادي العربي السيد محمود عبد الفضيل : ((يقوم النظام الإقتصادي الشرق أوسطي الجديد على ربط شرايين الحياة الإقتصادية العربية : المياه ــ النفط ــ السياحة ــ التقانة بالاقتصاد الإسرائيلي . وينهض المنطق الإستراتيجي الإسرائيلي بهذا الصدد على مقولة هامة مؤداها أنَّ تنمية شبكة واسعة ومتنامية من التشابكات الإقتصادية بين الإقتصاد الإسرائيلي والاقتصادات العربية ، من شأنه أنْ يجعل كلفة الإنفصال عالية جداً بالنسبة إلى الأطراف العربية التي تود الإنسحاب أو الفكاك من إسار الترتيبات الإقليمية)) ولا شك إنَّ ما نشاهده على مستوى مصر وقطر ، وموقف سلطتيهما راهناً من العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق ، مجرد أمثلة على ذلك الإتجاه الصهيوني . . . أمثلة عملية تصلح للتعميم مستقبلاً .

إنَّ القناعة السياسية التي تتردد على لسان العدوانيين الكيان الصهيوني وأمريكا ، طوال السنوات الفائتة لدى مسؤوليهما ، ومؤداها إنَّ طريق السلام المطلوب أمريكياً وصهيونياً يمر في بغداد . . . إنَّ هذه القناعة ليست نبتاً شيطانياً برز بشكل مفاجيء وعلى حين غِرة . إنه شعور سياسي وفكري تناميا جراء إيمانات أيديولوجية في تفكير وعقلية الصف القيادي المخطط للإدارة الأمريكية : إنهما يؤمنان بأنَّ الكيان الصهيوني وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل هو المقدمة الإجبارية لنهاية العالم الذي يؤسس فيه السيد المسيح وحوارييه حكمهم على الأرض ، على أسس التزاوج الفكري بين العهد القديم والعهد الجديد وتلقيحه بنزعة التفوق العسكري المطلقة ، وتطبيق مفردات هذه الرؤية البرنامجية حرفياً في المنطقة العربية ، من خلال

مواجهة ((البرابرة العرب)) وأولئك ((الهمج المتخلفين)) عسكرياً للقضاء عليهم ، وحذفهم من صفحة الفعل التاريخي المخلص للذات الوطنية والقومية العربيتين . إنَّ ما يجري في فلسطين والعراق من إبادة نوعية للبشر والشجر والحجر من الجو والبر يبرهن على ذلك البرنامج السياسي بصورة ملموسة .

إنَّ وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد وريتشارد بيرل وبول ووفتز وهم ــ وغيرهم أيضاً من اليهود المتمركزين في الإدارة الأمريكية ــ معروفٌ دورهم في رسم خطة العدوان على العراق ، وتوفير خطوات تبرير تلك الحرب من الناحية السياسية والدعائية ، تحت خلق وتضخيم ذرائع خطر أسلحة الدمار الشامل على المدنية المتحضرة ، وتهديدها للحياة الأمريكية ، ومتابعة أكذوبة خطر القوة العراقية التي تتحدى السياسة الأمريكية العالمية ، بما يوازي فكرة تدحرج كرة الثلج التي تكبر بمضي الوقت ، بغية تحقيق الهدف الأمريكي القاضي بفرض السيطرة على كل العالم ، من خلال تقوية كيان الاغتصاب الصهيوني والسيطرة على النفط العراقي المؤثر في ميداني الاحتياط والإنتاج ودعم منظمة أوبك .

وما تأييد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد لسياسة بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، التي هي وفقاً لمنطق القانون الدولي ، يجب عدم تغيير معالمها وطابعها ، وتصريحه الذي يؤكد على وصفها بأنها أراضٍ يهودية كونها ((نتيجة شرعية لانتصار إسرائيل العسكري)) سوى مؤشر على اِتجاه ذلك التوجه . وحض بعض إداريي الحكم الأمريكي إلى ضرورة ((التأييد لسياسة التطهير العرقي فيما يخص الفلسطينيين ــ الترانسفير ــ)) للأردن ، للاِستقرار فيه أو الرحيل من هناك إلى العراق . ودعوة ريتشارد بيرل وأحد موظفي وزارة الدفاع الأمريكية حكَّام تل أبيب إلى التخلي عن ما يسمى بعملية السلام التي أنتجتها مباحثات ــ واِتفاقات ــ أوسلو ، واِنتهاج سبيل الاضطهاد والقصف والقمع والقتل والاغتيال طريقاً وحيداً للقضاء على ((التخريب الفلسطيني)) وهم يقصدون بذلك محاولة إنهاء الملحمة الكفاحية الفلسطينية الهادفة إلى إنجاز مهمة حق تقرير المصير . . . إنَّ كل ذلك ما هي إلاّ أمثلة على أنَّ النصر الشامل والساحق على الدولة العراقية ــ كما يتمنى الأمريكيون والصهاينة ــ يقوض الروح المعنوية عند الفلسطينيين الباحثين عن حل لقضيتهم عبر الكفاح السياسي والقتالي والاستشهادي اليومي .

إنَّ الجغرافية الفلسطينية الضيقة على مساحة الطموحات الصهيونية ، تقتضي حكماً ــ وفقاً للمنظور الصهيوني ــ تفريغ أهلها الشرعيين من موطنهم وترحيلهم إلى الخارج ، بعيداً عن فلسطين : وطنهم التاريخي ، والقاريء الموضوعي النزيه للتطورات الديموغرافية على المستوى الفلسطيني ، تبين إنَّ الأرقام وفقاً لنسب التطور الرقمية على صعيدي المهاجرين المستوطنين اليهود ، والفلسطينيين العرب : المسلمين والمسيحيين ، وولاداتهم الكثيرة وتنامي أعدادهم ، سيجعل من الخمسة عشر عاماً القادمة طريقاً وحيدة الاتجاه : **نفي أحد الطرفين** ، إذ لن تسع المساحة الفلسطينية لمجموع التكوينين : المجتمع العربي الفلسطيني الذي سيبلغ الثمانية ملايين ، والمتدفقين الغزاة الصهاينة الاجلائيين الاحلاليين الذين يحاولون تجميع

أغلب يهود العالم في فلسطين وبلوغهم الرقم سبعة ملايين . إذن ما هو الحل من وجهة نظر العدوانيين الصهاينة والأمريكيين ؟ ! .

يكمن الحل وفق المنظور الصهيوني الذي بشّرت به الحركة الصهيونية منذ عشرات السنين ــ ربما كان ذلك في بدايات القرن العشرين ــ ترحيل السكان الفلسطينيين إلى العراق القليل من الكثافة السكانية ؟! أو القادر على إستيعاب المزيد من السكان ، أما الطريقة المُثلى فهي نشر الحروب العبثية في الوطن العراقي بعد تعميق الشروخ داخل المجتمع : الطائفية والأثنية ، لترحيل فلاحي الجنوب ! القاطنين في بغداد إلى ((دولتهم الطائفية في الجنوب)) المنتظر تطبيق مخططاتها المودعة في ملفاتها القابعة في أدراج الخارجية والبنتاغون الأمريكيتين ، التي بدأت مع قرارات الحظر الجوي الأمريكية . . . ترحيل الفلسطينيين كونهم من العرب السنة الفلسطينيين الذين يتواءمون في القومية والإعتقاد مع العرب السنة العراقيين ، من ناحية ، وتعميق الخلافات بين مكونات المجتمع العراقي لبلوغ درجة الإقتتال الداخلي : العربي والكردي والتركماني وصولاً إلى إيجاد منطقة عازلة ومسكونة ، بين العرب والآخرين في المنطقة المجاورة لمنطقة الموصل ، من ناحية أخرى .

عند ذاك يجد كيان الإغتصاب الصهيوني نفسه ((الدولة اليهودية النقية)) الخالية من ((شوائب الدماء غير اليهودية ، غير النقية)) في ترسيخ للرؤية العنصرية الصهيونية لفلسطين العربية وأرضها الخالية من البشر ، لتوريد شذاذ الآفاق من اليهود من كل العالم إليها ، بغية الإستيطان فيها وترجمة الوعد التوراتي القاضي بمنح الأرض الفلسطينية لليهود : لنسلك يا داوود أعطي هذه الأرض .

تأتي هذه المفردات العدوانية الأمريكية ــ البريطانية : التي منحت الوعد البلفوري لليهود ، ورعت تأسيس كيانهم بالهجرة والنمو والصيرورة ، تمهيداً لإنجاز الهدف السياسي على المستوى الذي يخدم الكيان الصهيوني . إنَّ الوعي بهذه السياسية التي ينفذها الأمريكيون بصورة عنيفة عبر الحرب والغزو والعدوان ، يصعِّد عمل المقاومة العراقية الوطنية التي يمكن رفدها بالعمق الشعبي العربي المقاوم ، ويساندها ملايين المسلمين في العالم ، وينمِّيها حتماً أيضاً ، فليس أمام شعبنا غير إنتهاج طريق المقاومة الذي يخدمه في ذلك التوجه الكفاحي : تراث عربي إسلامي مقاوم ، يرى في الموت أمنية تثبت مصداقية المرء المؤمن دائماً وأبداً : ((قل إنَّ الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون)) لذا نؤكد على القول القرآني : ((فتمنوا الموت إنْ كنتم صادقين)) .

إنَّ التصريحات الأمريكية حول الإعتراف بالكيان الصهيوني بإعتبارها إحدى المهمات المناطة بالحكومة الجديدة القادمة ، وإقامة العلاقات السياسية الشرعية معه ، وإيصال الأنبوب النفطي العراقي المغلق منذ العام 1948 ــ عام تأسيس كيان الإغتصاب الصهيوني ــ إلى حيفا في الكيان الصهيوني ، وفق الرغبة الصهيونية المعلنة بلسان أحد مسؤوليها ، وغير ذلك الكثير الوفير ، يكشف عن قمة الرأس الجليد الغاطس وسط مياه المخططات المشتركة عند الطرفين ، ليس إلاّ ، وليس أمام الجميع من العراقيين والعرب المخلصين إلاّ المقاومة فقط ، والإستمرار في إنتهاج طريق المقاومة الشاق والطويل .

2003 / 4 / 5

باقِر الصَرَّاف
كاتب عراقي مقيم في هولندا
عضو اللجنة القيادية للتحالف الوطني العراقي